الأساطير والخرافات وأثرها في المجتمع

دراسة انثروبولوجية في مدينة تكريت

عبدالله صالح علي*

تأريخ التقديم: 2019/3/24 تأريخ القبول: 2019/4/14

المستخلص :

مازالت المجتمعات الإنسانية منشغلة في تناول ونشر الخرافات والأساطير مع بروز الاختلاف والتمايز في تفسير وفهم نشوئها والغايات والأهداف التي لم تخلُ من مآرب، خاصة تلك الخرافات والاساطير التي أُدخلت في العقائد الدينية، في حين يرى البعض ان الخرافة والاسطورة هي البنية التوعوية والفكرية التي انبثق عنها الفكر الاجتماعي والسيكولوجي، ويرى آخرون انها الدافع وراء ظهور علماء الفلسفة وأساس النقلة الفكرية الذين أسسوا مختلف صنوف العلوم والمعرفة، ويرى آخرون انها أقدم انواع الكتابة القصصية وكانت ذات مكانة كبيرة لدى الشعوب، ويتفق مؤرخو السرد بأنواعهم المختلفة على ان القصة والرواية بدأت بالشفاهية وبالأدب في أول مراحله كلمات تقال أكثر منه حروفاً تكتب، فكل حضارة من الحضارات (الصينية – الهندية – الفارسية – حضارات ما بين النهرين والحضارة المصرية القديمة) لها خرافاتها وأساطيرها التي اشتهرت بها، والتي لا زالت متوارثه في اذهان افرادها الى الوقت الحاضر. اشتملت الدراسة على عدد من المباحث, تناول المبحث الاول الإطار النظري متمثلا في عناصر الدراسة كالمشكلة والاهمية والهدف، فضلا عن تحديد المفاهيم العلمية والمنهجية المستخدمة في الدراسة، في حين اشتمل المبحث الثاني على نشأة الاسطورة والخرافة وعلاقتهما بالمجتمع والثقافة وما هي النظريات المفسرة لهما، واقتصر المبحث الثالث على انواع الاسطورة والخرافة

* أستاذ مساعد / كلية الآداب /جامعة تكريت .

ودورهما في الشعوذة واكتساب المرض والشفاء منه، واخيرا تضمن المبحث الرابع الجانب الميداني للدراسة وما توصلت اليه من استنتاجات وتوصيات علمية.

الكلمات المفتاحية : زواج؛ خرافات؛ مراسيم

المبحث الأول: الإطار النظري

أولاً: عناصر الدراسة

1- مشكلة الدراسة

تعد الأساطير والخرافات أحد الأنماط الأساسية من أنماط الضبط الاجتماعي في كل مجتمع على اختلاف مكوناتها فلكل ثقافة موجهاتها وضوابطها الاجتماعية وهكذا تلعب الاسطورة والخرافة دوراً كبيراً في توحيد سلوكيات الأفراد .

هذا فضلاً عن ان الاهتمام الحديث بالأسطورة يشكل اعترافاً عاماً بقوتها على الرغم من أنه لا يوجد اتفاق على مدى قوتها في المجتمع[1]، فهذه المنظمة التي تشكلها الأسطورة والخرافة والدين تشكل الجانب الروحي النافذ في عملية الضبط[2] .

وعلى ما تقدم يمكننا صياغة مشكلة الدراسة عبر مجموعة من التساؤلات التي تطمح الدراسة في الإجابة عنها .

1 – هل بقي للأساطير والخرافات قوة جبرية في نفوس أفراد المجتمع كما كانت في السابق ؟

2 – هل يبلغ الاعتقاد بالأساطير والخرافات درجة الإيمان بها ؟

3 – لماذا يؤمن الناس بالأساطير والخرافات على الرغم من التطور العلمي الذي نعيشه في عالمنا المعاصر ؟

---

(1) أرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحي، الطبعة الأولى، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2010 م، ص 7 .

(2) خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، الطبعة الأولى، دار الأهلية للنشر، الأردن، 1998، ص23 .

4 – هل ان دور الاساطير أصبح محصوراً على الماضي أم مستمر مادام الجهل والخرافة من لوازم التفكير الإنساني ؟

5 – ما هو الجوهر الحقيقي لتلك الاساطير والخرافات التي ورثتها البشرية ؟

6 – هل تستند الاساطير والخرافات إلى أساس تأريخي ؟

7 – كيف ظهرت الاساطير والخرافات ؟ ولماذا أسرت عقول البشر ؟

8 – هل اصبحت الاساطير والخرافات من القضايا التي يعتقد بها الانسان ؟ ام من القضايا التي تقدس وتعظم ولا تقبل الجدل ؟

2- اهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية : -

1 – تحول دراسة الاسطورة والخرافة في المجتمع من منهج الفهم إلى فهم الفهم التأويلي من خلال الدراسة الحالية للأسطورة والخرافة .

2 – الأداء الطقوسي والشعائر انتاج المعنى هي تقليد سومري قديم قام بترسيخه الوعي التاريخي بسبب أحداث دينية وقعت .

3 – ان ما يفكر به الإنسان ورؤيته للكون والحياة والمجتمع يخضع بشكل لا واعي للأنماط الأسطورية في الحضارات القديمة وبشكل واعي للأحداث التاريخية وهي تؤثر في تفكيره ومن ثم على سلوكه وشخصيته بشكل كبير يؤدي إلى نوع محدد من الولاء للجماعة/ الطائفة .

3- اهمية الدراسة

تتجلى أهمية الدراسة فيما يأتي : -

1 – الحاجة إلى فهم الاسطورة والخرافة سوسيولوجيا والتوسع من خلال رؤية جديدة تشكل مدخلاً لفهم الذات والشخصية .

2 – معرفة ما يدور في العقل بشكل واعي أو لا واعي أسطورياً وتاريخياً انما يؤثر في الشخصية

3 – التشابك في حقول عملية متعددة تجمع بين التحليل النفسي والأسطورة والخرافة والثقافة والمجتمع بالشكل الذي يطرح مفاهيم جديدة يرجو الباحث ان تساهم في اثراء البحث العلمي .

4 – إدراك أهمية الاسطورة والخرافة والرمز والطقس كأحد مكونات الثقافة في حياتنا الاجتماعية باعتبار ان المجتمع له أهمية في حياتنا اليومية التي نعيشها .

ثانيا : تحديد المفاهيم العلمية

1 – الاسطورة لغة : جمع أساطير [س . ط . ر] تحكى لي أساطير من حين لآخر : – حكاية عجيبة تروى أحداثاً تأريخية كما تتخيلها الذاكرة الشعبية او كما يراها الخيال الشعبي، **ملحمة** : أسطورة جلجامش : ملحمة من آداب وادي الرافدين، وفي قوله تعالى " **واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** "[1] . النحل أية (24)

الاسطورة اصطلاحاً : هي معلومات قصصية منظمة تدور حول المعتقدات الميتافيزيقية أو أصول الكون او المؤسسات الاجتماعية او تاريخ شعب من الشعوب[2] .

ويعرف ينج الأسطورة بانها : صورة عريضة تضفى عليها الوقائع العادية في الحياة معنى فلسفياً : أي انها تتضمن قيمة تنظيمية بالنسبة للتجربة[3] .

وتعرف الأسطورة بأنها حكاية يسودها الخيال وقد تبرز فيها قوى الطبيعة على شكل آلهة أو كائنات خارقة للعادة ويشيع استعمالها في التراث الشعبي لمختلف الشعوب[4] .

وتعرف أيضاً بانها قصة مقدسة تتضمن موضوع الخلق وبداية الوجود وتصف الاحداث المثيرة التي صاحبت عملية الخلق والدور الذي قامت به مختلف الآلهة والمخلوقات الاسطورية في هذه الأحداث[1] .

---

(1) www.almqqny.com تاريخ الزيارة 2018/1/7

(2) دنكن ميشل، معجم على الاجتماع، ترجمة الدكتور أحسان محمد الحسن، الطبعة الأولى، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص 210 .

(3) الدكتور عز الدين أسماعيل، الشعر الشعبي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية المعنوية، دار العودة، بيروت، 1966 م ، ص 228 .

(4) هاني الكايد، ميثولوجيا الخرافة والاسطورة في علم الاجتماع، الطبعة الاولى، دار الراية للطبع والنشر والتوزيع، الأردن – عمان، 2010 م ، ص 20 .

ومن كل ما سبق يمكن تعريف الاسطورة اجرائياً بانها :

تأسيس لقصص يتناقلها ابناء المجتمع من جيل لآخر عبر الحضارات القديمة، وغالبا ما ينظرون اليها باعتبارها مقدسة.

2 – الخرافة لغة : خرف الشيخ خرفاً، واخرفه الهرم فهو خرف وسمى الخريف لأنه يخرف فيه كل شيء اي يؤخذ ويجتبى في حديثه وقيل الخَرَفُ بتحريك فساد العقل من الكبر (2) .

الخرافة اصطلاحاً : ايمان وممارسات وسلوكيات تبيض وتفقس في الزوايا المظلمة التي لا يصل إليها شعاع العقل وحيثما تعطل إرغاب الافراد, فقد تفاقمت وبسطت سلطتها على ثقافة المجتمع متخذة من الخيال المعجب أداة لوضع الحلول والقناعة العاجلة أمام الوعي البدائي للإنسان(3) .

وتعرف الخرافة بأنها : الاعتقاد او الفكرة القائمة على مجرد تخيلات دون وجود سبب عقلي أو منطقي مبني على العلم والمعرفة وترتبط الخرافة بفلكلور الشعوب حيث ان الخرافة عادة ما تمثل إرثاً تاريخياً تتناقله الأجيال(4) .

ويعرف جيمن دريفر الخرافة : بأنها عقيدة أو نسق من العقائد القائمة على اساس صلة خيالية بين الأحداث وغير قابلة للتبرير على اساس عقلي(5).

ويعرفها انجلش بأنها عقيدة شبه دينية، او هي نشاط، او سلوك شبه ديني وعلى درجة العموم هي أما منحدرة من عقيدة دينية أو فساد لمثل هذه العقيدة(6).

---

(1) صموئيل نوح كريم، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داوود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد، 1971 م ، ص 13 .

(2) د. أحمد اسماعيل النعيمي، الاسطورة في الشعر العربي ما قبل الاسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، 1995 م، ص 51 .

(3) هاني الكايد، ميثولوجيا الخرافة والاسطورة في علم الاجتماع، المصدر السابق، ص 21 .

(4) < http:llar.m.wikipedia.org > خرافة . تاريخ الزيارة 2018/1/7 م .

(5) د. عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1984م، ص16.

(6) نفس المصدر، ص16.

ومن كل ما سبق يمكن تعريف الخرافة إجرائياً بأنها:

معتقد أو ممارسات غير عقلانية قد تكون دينية أو ثقافية أو اجتماعية.

3- المجتمع لغة: مشتقة من الفعل (جمع) أي اجتماع الناس على شكل جماعة[(1)].

المجتمع أصطلاحاً: كل مجموعة من الافراد تربطهم رابطة ما معروفة لديهم ولها أثر دائم ومؤقت في حياتهم وفي علاقاتهم مع بعض[(2)].

ويعرف المجتمع بأنه: ليس جمعاً بسيطاً من الافراد بل هو تركيب ينتج من التفاعل والعلاقات والروابط في ما بينهم ومع ما يحيط بهم من شروط طبيعية وتأريخية حيث تختلف خصائصه عن خصائص أفراده او العناصر الداخلة في تكوينه أو تركيبه[(3)].

ويعرفه المنظور الماركسي: بانه مجموعة من الافراد يألف تنظيماً مجتمعياً وتقوم العلاقات في ما بينهم على قاعدة مصلحية تتحكم الى مظاهر المنافسة والتزاحم[(4)].

وكذلك يعرف بأنه: جماعة من الناس يعيشون معاً في منطقة معينة وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرهم وشعور بالوحدة كما ينظرون الى أنفسهم ككيان متميز[(5)].

ومن كل ما سبق يمكن تعريف المجتمع إجرائياً:

بانه مجموعة من الافراد والجماعات تعيش في موقع جغرافي واحد ويرتبطون بعلاقات اجتماعية في ما بينهم.

4- الثقافة لغة: اسرع في اخذ الشيء وادراكه وثقف بمعنى أدب وربى وعلم وفي القاموس المحيط نجد ان ثقف بمعنى اصبح حاذقاً فطيناً ملماً بالموضوع في كافة جوانبه[(6)].

---

(1) www.mawdoo3.com تاريخ الزيارة 2018/1/7.

(2) banta_guewa.over.blog.com تاريخ الزيارة 2018/1/7.

(3) فؤاد خليل، المجتمع النظام البيئة في موضوع علم الاجتماع وأشكاليته، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الاولى، 2008م، ص12.

(4) المصدر نفسه، ص143.

(5) المصدر نفسه، ص151.

(6) www.mawdoo3.com تاريخ الزيارة 2018/1/7م.

الثقافة إصطلاحاً: هي مجموعة النشاط الفني والفكري في معناه الواسع، وما تتصل به من مهارات، فهي متصلة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الاخرى، ومؤثرة فيها ومتأثرة بها، فمثلاً ذلك في تقدم المجتمع في جوانبه الحضارية[1].

وقد عرف تايلور الثقافة بأنها الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والإخلاص والقانون والعرف والعادات وسائر الممكنات التي يكتسبها الفرد بوصفه عضواً في مجتمع[2].

وقد حاول مارسيل موس التأليف بين مختلف دلالات الكلمة حيث عرف الثقافة على انها امر مشترك بين عدة مجتمعات اشتراكه الى حد كبير او صغير بماضي تلك المجتمعات[3].

ولأهمية الثقافة فقد عرفتها المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم اليونسكو بأنها جميع السمات المادية والمعنوية والعاطفية التي تميز مجتمعاً ما، أو فئة ما أو فئة اجتماعية بعينها فهي طرائق الحياة والفنون والآداب كما تشمل الحقوق الاساسية للإنسان وهي التي تجعل الإنسان كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة بالعقلانية والقدرة على النقد والالتزام الخلقي، وهي وسيلة في التعبير عن نفسه[4].

ومن كل ما سبق يمكن تعريف الثقافة اجرائياً:

بأنها مجموعة من الاتجاهات المشتركة من القيم والاهداف والممارسات التي تميز مؤسسة أو منظمة أو جماعة ما.

ثالثا: منهجية الدراسة:

---

(1) د. محي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، لا توجد دار نشر، تونس، 1983م، ص9.

(2) د. قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع الثقافي ومشكلاته الشخصية في البناء الاجتماعي، الناشر للمعارف في الاسكندرية، 1982م، ص20.

(3) جان كزنوف، دعائم علم الاجتماع، ترجمة الدكتور عادل العوا، الطبعة الاولى، دار طلال للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م، ص68.

(4) د. محي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، المصدر السابق، ص19.

1- المنهج التأويلي: او فن التأويل هو الأداة المستخدمة لفرض التحول في دراسة الاسطورة والخرافة من الفهم المباشر الى فهم الفهم حيث يقتصر الاول على الظاهر بينما يغوص الثاني نحو الباطن ومن هنا يعبر عنه ك" فن " ويعتمد على قدرة الباحث وامكانيته في التوصل الى التأويل المناسب وتطبيق أو ممارسة على هذا البحث فأن المراحل التي سنمر بها للوصول الى تأويل الاسطورة والخرافة في المجتمع هي:

1- فهم النص الأسطوري.

2- فهم النص الأسطوري وتأويله.

3- إسقاط النص الأسطوري على النص الخرافي.

4- تأويل الخرافة.

الدراسة تنصب في حقل الانثروبولوجيا/الأسطورة يتم فيها التحول من الأسطورة الى اللاوعي الأسطوري ومن الخرافة الى اللاوعي الخرافي عبوراً الى إنتاج المعنى الثقافي وتأويله كما يظهر في الطقوس والرموز.

2- منهج الفهم الذاتي: يعد منهج الفهم الذاتي Ethno-Science-Method في الفكر الانثروبولوجي اتجاهاً نظرياً جديداً يتركز على اكتشاف الطريقة التي ينظم بها الافراد ثقافتهم وطريقتهم في استخدام هذه الثقافة ويعرف هذا المنهج ب(المدخل المعرفي)[(1)].

الذي يهدف الى فهم تصورات الافراد على العالم المحيط بهم وكذلك يهتم بالطرق التي تستخدمها الجماعات داخل البناء الثقافي في المواقف المختلفة[(2)].

فهو لا يهدف الى دراسة العناصر المادية للظاهرة بقدر ما يدرس الطريقة التي تعمل على تنظيم هذه العناصر في عقول الافراد. فبينما يهتم الباحث في الاتجاه القديم بمصنفات التوصيف في لغته الأصلية يعتمد الباحث في الانثروبولوجيا الادراكية

(1) د. محمد حسن غامري، المناهج الانثروبولوجية، المركز العربي للنشر والتوزيع، الاسكندرية، (د.ت)، ص87.

(2) د. محمد حسن غامري , المناهج الانثربولوجية , المصدر السابق , ص88.

Cognitive Anthropology بالتعرف على مصنفات التوصيف في لغة المواطنين انفسهم.

أدوات جمع المعلومات:

1- المقابلة: هي اجتماع وجهاً لوجه مع الأفراد ذوي العلاقة بالدراسة من أجل التحقق من بعض المعلومات أو الحصول على معلومات جديدة وأولية من هؤلاء الاشخاص، والمقابلة هي أداة مرنة وهي أفضل من الاستبيان فيما يتعلق بتقييم صحة المعلومات التي يجري جمعها وهو فن يتطلب خبرة في ترتيب المقابلة واعداد المكان واخراج التقرير ويجب صياغة الاسئلة بشكل واضح ومفهوم لتقييم الردود بعناية وتجنب سوء الفهم من قبل الشخص المقابل معه.

2- الملاحظة بالمشاركة: يكون الملاحظ فيها حاضراً حضوراً فعلياً مباشراً في الموقف الذي يجري ما يلاحظ من أحداث ومن اهم مميزاتها يستطيع الباحث وهو غير مقيد بقيود جامدة ان يكيف نشاطه وجهده ويعدل في تصوراته ويعيد صياغة فروضه وحسب ما يقتضي الموقف ويسمح للباحث تفادي الاستفسارات أو الملاحظات غير الملائمة التي قد تسبب إحراج الباحث أو المجيب أو جرح شعور الاخر واثارة ذكريات تؤلمه أو ما الى ذلك وتساعد الباحث في أن يصل الى فهم أعمق الظروف المحيطة بالسلوك وأن يرصد ألواناً عديدة من السلوك الخفي غير الظاهر عادة وتعين الباحث على ان يصل الى مصادر للمعلومات واخبار بين اكفاء اكثر مما يستطيع باحث عابر[1].

المبحث الثاني: نشأة وتطور الأسطورة والخرافة.

يحتل الزمن مكانة رئيسية في نشوء وتطور الاسطورة، ليس لأنه يشرّع من الداخل الخطاب الاسطوري للكلمة، بل ايضا لأنه يلعب دورا هاما في صياغتها.

أولاً: نشأة الأسطورة:

اهتم الباحثون طيلة القرون الماضية على الأقل في كيفية نشوء الأساطير بعضهم قال ان البداية كانت على شكل حوادث تأريخية تم تحريفها بمرور الزمان ويرى البعض

(1) www.mawdoo3.com تاريخ الزيارة 2018/3/2م.

ان الاساطير نشأت نتيجة محاولة الناس تفسير حدوث الظواهر الطبيعية التي يمكن فهمها[1].

لقد كان لطائفة من الباحثين فضلاً علينا في استقصاء النظريات المتعلقة بنشأت الأسطورة وإيجاز مضامين تلك النظريات بوجه عام اعتمدت على دراسات تتفق على وجود أربعة مدارس رئيسية اهتمت بنشأة الأسطورة وهي:

1- المدرسة التأريخية: اذ ترى ان الأساطير التي وصلت الينا ليست في أصولها الا تاريخ البشرية الاولى، تنوسيت ملامحه الدقيقة وأضفى الخيال الإنساني عليه جواً فضفاضاً، وتاريخ الآلهة ما هو الا تاريخ لعصر الأبطال، حين كان الأنسان يعجب بالقوة والجبروت ويتطور هذا الإعجاب عند الاجيال الى نزعة من التقديس تتلاشى معها الحدود الفاصلة بين حقائق الواقع الانساني وخفايا الوجود الغيبي، فتصل الى حد عبادة الآباء، ثم تصل الى تناسي هذه الأبوة ودخولها في مرحلة التأليه، وهو رأي يفسر نشأة الأساطير على اساس مرتبط بالتاريخ المحلي للشعوب بوصفه تعبيراً رمزياً عن الأبنية الاجتماعية والحضارية المعبرة عن الفكر الجماعي وبالأساليب البدائية العتيقة ومن أبرز أصحاب هذا التوجه شلنج ومالينوفسكي[2].

2- المدرسة الطبيعية: ترجع هذه المدرسة كل الأساطير الى منشأ طبيعي يتصل بالظواهر الكونية مثل المطر والزرع والبرق والرعد والرياح وغيرها وقد ربط الإنسان القديم كل هذه الظواهر بقوى غيبية بعيدة تسيطر عليها وتتحكم فيها وتتطرح فيما بينها، بحيث ينهي الصراع بخلق حالة من التوازن بين الخير والشر متوخياً من ذلك كله السيطرة على قوى الطبيعة بالأساليب العملية والمتمثلة بالطقوس والتعاويذ وغيرهما لتحقيق اهداف علمية ونفسية محددة، وكان جيمس فريزر وأندرو لانج ولورنس جوم من دعاة هذا الرأي[3].

3- المدرسة التعبيرية: خالفت هذه المدرسة آراء من ربط نشأة الأسطورة بالظواهر الكونية وانكرت أن يكون الإنسان البدائي قد انشغل بالكون ونظامه الى حد التأمل

---

(1) د. هاني الكايد، ميثويولوجيا الخرافة والاسطورة في علم الاجتماع، المصدر السابق، ص40.

(2) د. احمد أسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، المصدر السابق، ص38.

(3) د. أحمد اسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، المصدر السابق ص39.

والتعجب والتساؤل وترى ان ابسط تعبير عن نظام الكون وعن المبادئ الأساسية للنظام الأخلاقي في الحياة يتطلب استخدام لغة واصطلاحات تجريدية وهذا ما نادى به (لورد راجلان).

اما (ماكس مولر) فيؤكد هذا المعنى بقوله " أن الأسطورة انما نشأت نتيجة قصور أو عيب في اللغة " مما ادى الى ان تكون للشيء الواحد اسماء متعددة، كما ان الاسم الواحد كثيراً ما يطلق على أشياء مختلفة، وكان من نتيجة ذلك أن خلط الناس بين الاسماء، ومالوا الى الاعتقاد بأن الآلهة المتعددة ليست الا تصورات مختلفة لإله واحد، وجنحوا كذلك الى تصور الإله الواحد على هيئات متعددة.

4- المدرسة النفسية: ترى مدرسة التحليل النفسي ان الأسطورة هو الحلم إذ يمكن ان تكون بمثابة اعراض تدل على وجود حقائق اخرى فتبدو من هنا رموزاً لظواهر نفسية لاشعورية تمثل قوى تتحكم في مسيرة الفرد وسلوكه الاجتماعي في إشارتها الى حاجات حيوية تكمن فيما سماه " فرويد " ب(عقدة أوديب) فيما جعله " يونج " لقاءً ثقافياً نفسياً على صعيد اللاوعي الجمعي ويوافق (اريك فروم) رأي فرويد في العلاقة بين الأسطورة والحلم ولكنه يخالفه في النظر اليها على كونهما انتاج العقل اللاشعوري اذا يرى ان العقل في حالة الحلم انما يعمل ويفكر ولكن بطريقة اخرى ولغة اخرى وهي لغة الرمز وما علينا الا ان نفهم مفردات تلك اللغة ليفتح امامنا عالم مملوء بمعان غنية ثرة[1].

ثانياً: نشأة وتطور الخرافة:

تلعب الخرافة دوراً مهماً في حياة من يؤمن بها فالشخص الذي يتفاءل برؤية شخصٍ أو شيءٍ معين يحدد نجاحه أو فشله تبعاً لذلك بل قد يشعر بالقلق والتوتر والضيق بمجرد سماعه لكلمة عابرة وخاصة عندما يكون في طريقه لقضاء مسألة هامة.. والشخص الذي يتفاءل ببعض الامور يغلب عليه ان يتشاءم ايضاً ببعض الأمور الأخرى وتعكر صفو حياته.

(1) د. أحمد اسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، المصدر السابق، ص39-40.

يمكن تتبع الاسباب التي أدت الى نشأة كل خرافة من الخرافات فالتشاؤم من البومة ونعيقها قد يرجع الى ان البوم يسكن في الاماكن الخربة ويختفي نهاراً ويظهر ليلاً كما قد يرجع النظر الى المرأة على انها كائن محرم أو نجس الى ارتباطها بدم الحيض وارتباط الدم بالحوادث والقتل والكوارث.

وكذلك يمكن ارجاع (الوصفات البديلة) وانتشارها الى مجرد الارتباط العرضي فقد تبدأ بأن يلتمس المريض الذي يتألم من شدة الوجع أي شيء يخفف آلامه ويسعى أن يتعاطى أي مادة وقد يحدث ان يكون المرض في طريقه الى الزوال تلقائياً بعد انتهاء دورته فيربط بين تعاطي هذه المادة وبين الشفاء وقد يتكرر هذا الارتباط العرضي لمرات عدة فيؤدي الى انتشار الخرافة[1].

ان التفكير الخرافي يُبعد الفرد عن التفكير المنطقي والاستدلال الصائب والاحكام الصحيحة والاعتماد على الحقائق الموضوعية والوقائع الثابتة مما يؤدي الى وقوع الكثير من المآسي الاجتماعية والخصومات بين أفراد المجتمع وبالأخص المجتمع الريفي حين يتهم (المندل) مثلاً شخصاً بريئاً بالسرقة. أو ينسب الفرد في يوم زواجه الى عجزه الجنسي الى أحد المنافسين له في الزواج ومن ثم يناصره العداء كما أن هناك كثيراً من حالات الوفاة الى اعتماد المرضى على الدجالين والمحتالين الذين يستخدمون السحر في علاج مرضاهم. والى جانب ذلك فإن الخرافة والعلم لا يجتمعان والتفكير الخرافي يعوق التقدم العلمي والتكنولوجي[2].

ثالثا: الأسطورة والخرافة وعلاقتهما بالمجتمع والثقافة.

يبدو ان مصطلح الأسطورة لم يكن هو وحده المستأثر باهتمام العلماء والباحثين اذ كانت عنايتهم بمصطلح اخر يتردد مع (الأسطورة) وتبادل المواقع معها ونعني به (الخرافة) مما يستوجب علينا التطرق الى مدلولها والإفصاح عن دواعي ذلك التردد وتحديد اوجه الاختلاف والتشابه بين الأسطورة والخرافة وبيان صلة أحدها بالأخرى ومتوسلين ببعض الدراسات لهذا الغرض فبالنسبة الى الدراسات (غير العربية) بدا لنا أن

(1) د. عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، المصدر السابق، ص23-24.
(2) المصدر نفسه، ص9.

(أرسطو طاليس) هو اول من خصص حيز في كتابه المسمى (فن الشعر) للحديث عن (الخرافة) وقد عرفها بقوله هي محاكاة للفعل " أو تركيب الأفعال المنجزة " وهي " مبدأ المأساة وروحها " كما نادى أرسطو بأن يكون الشاعر صانع حكايات وخرافات اكثر من صانع أشعار لأنه شاعر بفضل المحاكاة لأنه يحاكي أفعالاً ويرى بعض الباحثين ان أرسطو لم يفرق بين الخرافة والأسطورة بل ربما فهم من كثير مما ورده في كتابه انها شيء واحد ومن هنا وقع الخلط كما يقول باحث معاصر بين الأسطورة والخرافة والميل الى الاعتقاد بأن الآلهة التي تظهر في الأساطير عادة تتحول في الحكايات الخرافية الى مجموعة من الكيانات الأرضية الخارقة.

ومن اعتقد بذلك العالم (كونتينو) الذي يرى أن الأساطير تضم الآف الأمثلة عن الحيوانات التي تتحدث وتفكر مثل الكائنات البشرية فصار منطقياً ان تتحول هذه الحيوانات الى شخصيات معنوية تستعمل في الحكايات الخرافية ومن الدراسات الغربية الشمولية والمتعمقة التي اغنت الخرافة واوضحت علاقتها بالأسطورة دراسة (فريدريك فون لاين) الموسومة بالحكاية الخرافية والتي تضمنت فضلاً عن آراء مؤلفها باحثين آخرين تقر بالفصل بين المصطلحين منهم الاخوان (جرم) اللذان أكدا ان أسطورة الآلهة هي الأصل ومع فقدان العقيدة خلعت أسطورة الآلهة عنها مضمونها الديني وصارت حكاية خرافية[1].

اما رأي المؤلف في هذا الشأن فيخصه في قوله أن أسطورة الآلهة والحكاية الخرافية قد عاشت احداهما بجانب الأخرى فكلاهما قديم وكلاهما ينبع من اصول واحدة وبهذا تكون الحكاية الخرافية شكلاً غير جدي لأسطورة الآلهة ولم يحدث الانفصال التام بين النوعين الا في عصور متأخرة حينما أمكن تمييز الدين بوصفه نقيضاً للدنيوي ويفرق (مالينوفسكي) بين الأسطورة والخرافة فالخرافات كما يقول تروى وتصدق كما لو كانت تاريخاً ورغم أن هدف الرواية هو في العادة تأييد مطالب جماعة معينة ينتمي اليها ولكن الخرافة لا تحتوي على عنصر من المعجزات ولا تعتبر مقدسة.

---

(1) د. احمد أسماعيل النعيمي، الاسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، المصدر السابق، ص49–50.

ولم يستعمل القرآن الكريم لفظة الخرافة قط أما في الحديث الشريف فقد وردت فيه اللفظة مقترنة برواية مشهورة، خلاصتها ان رجل تحدث بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحديث فقالت امرأة من نسائه هذا حديث خرافة فقال (صلى الله عليه واله وسلم) خرافة حق يعني ما تحدث به عن الجن وفي رواية اخرى عن عائشة (رضي الله عنها) قال لها (صلى الله عليه واله وسلم) حدثيني قالت ما احدثك حديث خرافة.

ونطالع في المضمون قصة لا تقل شهرة عن سابقتها. نص مضمونها هو " ان خرافة رجل من بني عذرة أو جهينة استهوته الجن، فلما خلت عنه رجع الى قومه وجعل يحدثهم بالأعاجيب من احاديث الجن فكانت العرب إذا سمعت حديثاً لا اصل له قالت حديثَ "خرافة". فجرى على ألسن الناس وعلى كل ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كل ما يستمع ويتعجب منه".

ان مجمل الآراء في علاقة الأسطورة والخرافة تبدو منفصلة تارة، ومترابطة تارة اخرى، ومنفصلة بعد ترابطها تارة ثالثة، ولعل لأبعاد أوجه هذه العلاقة بين الأسطورة والخرافة اثراً في ان يمتزج تعبير الأسطورة في أذهان الدارسين بتعبير الخرافة وعلى الرغم من هذا المزج الا اننا نرجح مبدأ الفصل بينهما وفقاً لمعطيات عدة استخلصت من مجمل الدراسات التي عرضنا ابرز آرائها في هذا الشأن منها ان الأسطورة فكر يمارس ويطبقه معتنقوه اتجاه الكون وما يحيط به من كائنات غيبية وغير غيبية ولا تبدو الأسطورة من ناحية المضمون أكثر من خرافة او حكاية ستروى لغرض الأسمار ونزجية الفراق أو أن الأسطورة ليست الا حديث خرافة بمفاهيم دينية حقة وعلمية صرف ومن هذا المنطلق كان (الكذب) المعنى الرئيسي الذي فسر به مفهوم الخرافة فضلاً عن ذلك هناك مسألة أخرى هي انه طالما ارتبطت الأساطير بالطقوس او انبثقت منها فهي اذاً لا تتردد او تمثل هذه الطقوس الا في مواسم بعينها إن اقتضَ الامر إحياء هذه الطقوس. اما الخرافة فذلك لا يعنيها البتة ولا تتضمن مثل هذا المفهوم ثم إن دخول أقاصيص الحيوان مجال الحكايات الخرافية التي نقلت عن اليونان الى اللاتينية باسم فابولات يجعلها ذات معنى محدد أما الأسطورة فهي أعم وأشمل اي هناك علاقة عموم وخصوص بين المفهومين على أساس ان حكاية الحيوان شكل قصصي يقوم الحيوان فيه بدور رئيسي وهو امتداد للأسطورة

بصفة عامة ومن المعطيات الأخرى ان الخرافة وصفها حكاية تكفل بها أفراد من القصاصين الموهوبين بينما هناك (ورثة شرعيين) اذا جاز لنا هذا التعبير للفكر الأسطوري يتبعونه بين الناس قولاً او تطبيقاً بوصفهم القادرين على تطويع الكائنات غير المنظورة والقوى الخفية والمنظورة أيضاً بمختلف أشكالها والوانها ومن ابرز هؤلاء السحرة والكهان والعرافين وغيرهم[1].

رابعا: النظريات المفسرة للأسطورة:

ازداد اهتمام العلماء والباحثين بدراسة الأسطورة ازدياداً كبيراً ولم تعد دراستها تقتصر على علم الأسطورة ذاته (الميثولوجيا) بل اصبحت موضوعاً مهماً من موضوعات العلوم كعلم الآداب والفلكلور والاثنوغرافيا والانثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم. ورغم كثرة الأدبيات التي تناولت الأسطورة فما زال الجانب الأساسي منها غامضاً وثمة مسألة اكيدة لا جدل فيها من مسائل الاسطورة وهي ان الأسطورة قصة اكتسبت في المكان الذي ظهرت فيه مظهر الحقيقة ونظر اليها على انها حقيقية مهما كانت القصة بعيدة عن الحقيقة فلماذا أذن أخذت هذه القصة مأخذ الحقيقة رغم بعدها الكبير عنها. عن هذا السؤال الذي يعد اساسياً من أجل فهم ماهية الأسطورة لم يعثر أحد حتى الان على جواب مرضي ومقنع وإذا كان لا يعرف حتى الان السبب الذي دعا الى اعتبار ما جاء في الأسطورة وقائع حقيقية فمن غير المعروف ايضاً حتى الان السبب الذي دعا الى نشوء الاساطير ومنطلقاتها في وعي الافراد وشعورهم.

ومن اهم النظريات التي فسرت الأسطورة ما يلي:

1- فلاسفة الإغريق والأسطورة: ترجع المحاولات الاولى في تفسير الأسطورة الى الفلاسفة الإغريق ومنذ تلك الفترة التي بدأ فيها الفلاسفة الإغريق بتفسير اساطيرهم الإغريقية لم تعد تؤخذ الأساطير مأخذ القصص والروايات الحقيقية لهذا لم يكن من المستغرب ان يلجأ الفلاسفة الإغريق الى تفسير الأساطير على انها كنايات ومجازات. اخترعها مؤلفون فضلوا اللجوء الى التلميح والرمز والاستعارة فقد أكد الفيلسوف

(1) د. أحمد أسماعيل النعيمي، الاسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، المصدر السابق، 50-51.

(إمبيدوقيلوس) الذي عاش في الجزء الخامس قبل الميلاد، ان الإله (زيوس) هو رمز النار والآلهة (هيرا) هي رمز الهواء و(هادس) رمز الأرض والآلهة (نيستين) (ربة صقلية المحلية) رمز الرطوبة وثمة تفسيرات اخرى كثيرة ومتشابهة اقترحها فلاسفة إغريقيون آخرون لأرباب وربات هوميروس فقد فسر الإله (زيوس) نفسه على انه السماء و(بوسيدون) على انه البحر و(إرتيميس) على انها القمر و(هيفستوس) على انها النار وما شابه ذلك كما فسر الأرباب والربات ايضاً على انها خاصيات او مفاهيم مجردة(1).

2- الأسطورة في القرون الوسطى وعصر النهضة: لجأ الباحثون والمفكرون الى تفسيرات مجازية للأساطير الإغريقية في العصور اللاحقة ايضاً ففي القرون الوسطى لجأ المؤلفون (اللاتين) الذين تحفل مؤلفاتهم بالأسماء الأسطورية الى هذه التفسيرات وذلك من خلال اهتمامهم بالشاعرين الرومانيين (أوفيد وفيرجل). وقد فسر الكاتب الايطالي جيوفاني بوكاشيو (Boccaccio 1313-1375) الأساطير الإغريقية تفسيراً مجازياً في كتابة (سلالة الآلهة) وقد كان من المتعارف عليه في عصر النزعة الانسانية تفسير الأساطير الإغريقية على انها كنايات اخلاقية او تصوير مجازي للمشاعر الإنسانية وقد قدم الفيلسوف الانكليزي (فرنسيس بيكون) (1561-1626) في كتابه (حكمة القدماء) عدداً من التفسيرات الإغريقية على أنها استعارات وكنايات للحقائق الفلسفية كما ظهرت تفسيرات مماثلة للأساطير اليونانية في وقت لاحق ايضاً غير انه لم يظهر اي شيء جديد من ناحية المبدأ في فهم الاساطير حتى عصر الرومانسية مجوهرات الأسطورة اي ما اعتبر انه حقيقة مهما كان بعيداً عن الحقيقة بقي غير مفهوم.

3- الأسطورة والمدرسة الرومانسية: كما في مجالات أخرى متعددة من الحياة الروحية فتحت المدرسة الرومانسية صفحة جديدة في دراسة الاسطورة كما حدث في الجوانب الأخرى العديدة تجري الان دراسة الأسطورة صيغاً كثيرة مما كان قد بدأه الرومانسيون ان جوهر الكشف الرومانسي للأسطورة يكمن في ان خطأ جميع التفسيرات القديمة السابقة

(1) د. نزار عيون السود، نظريات الاسطورة, مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، المجلد الرابع والعشرون-العدد الاول والثاني، يوليو/سبتمبر، اكتوبر/ديسمبر، 1995، ص213-214.

للأسطورة قد اصبحت فجأة جلية للعيان لقد فهمت الرومانسية الأساطير من حيث هي حقيقة (بكل معنى الكلمة) من حيث هي ابداع الشعب واصبح المفهوم المحاط بالضبابية الرومانسية بعيداً جداً عن الدقة مثله مثل مفهوم الشعب فمن ناحية تم اخيراً ادراك الأساطير كحقيقة بمعنى انها عدت بمثابة حقيقة من جانب أولئك الذين خلقوها وابدعوها ضمن الوسط الذي انتشرت فيه ومثل هذا الفهم كان تقدماً كبيراً بالمقارنة مع الفهم ما قبل الرومانسي[1].

4- البنيوية والأسطورة: لقد سبق انصار الميثولوجيا الطبيعية من حيث الدقة العلمية المنهجية اصحاب النظرية البنيوية الذين أولوا بدورهم دقة المنهج اهمية كبيرة (اذا ما عثر أحدهم على بنية فعلية ان يجدها في كل مكان وفي كل أسطورة) وعلى وجه التخصيص فقد سبق ماكس مولر بنقله مناهج البحث اللغوية الى علم الأسطورة، الفرنسي ليفي ستروس Levi-Strauss ولد عام (1908) وهو ابرز علماء الأسطورة المعاصرين، اما الفرق بين ماكس مولر وليفي ستروس يكمن بصورة أساسية في ان الاول كان يعرف اللغات التي كتبت بها الأساطير القديمة معرفة جيدة وكان يتقنها اتقاناً مناهج عصره اللغوية في حين ان الثاني كان يدرس الأساطير ويبحثها ليس بلغتها الأصلية بل بنصوصها المترجمة ورغم انه يستخدم المصطلحات اللغوية أستخداماً واسعاً لكنه لا يستخدمها بمعنى المحدد الدقيق عادةً[2].

5- مالينوفسكي والأسطورة: لقد ألقيت الأضواء على خصوصية ووظائف الأسطورة في المجتمع البدائي على أكمل وجه ممكن من قبل الاثنوغرافي الإنكليزي المعروف برونسلاو مالينوفسكي الذي أمضى سنوات طويلة بين سكان احدى جزر ماليزيا وكما اظهر مالينوفسكي فالأسطورة هي قوة اجتماعية مهمة ترسي أسس بنية المجتمع وقوانينه وقيمه الاخلاقية وهي تعبر عن المعتقدات وترمز اليها وتمنح التقاليد هيبة ونفوذاً كما تقود

---

(1) د. نزار عيون السود، نظريات الاسطورة, المصدر السابق، ص215-216.

(2) نفس المصدر , ص219.

وتوجه في النشاط العلمي وتعلم قواعد السلوك وهي على صلة وثيقة بجميع جوانب الحياة الشعبية وبما في ذلك بالطبع الطقوس على وجه التحديد[1].

6- فرويد والأسطورة: لقد تطور تفسير الأسطورة من حيث هي رموز تطوراً جديداً لدى فرويد وأتباعه. وفرويد كما هو معروف واضع نظرية اللاشعور وقد نشأت نظرية فرويد في تفسير الأساطير من خلال معالجته للعصابات. اي الامراض التي تميز الانسان المعاصر. لهذا فمن الطبيعي ان يكون تفسيره للإنسان البدائي باعتباره انساناً عصابياً وتفسيره للطقوس البدائية على انها عصابات جماعية وعلى وجه التحديد نظريته القائلة بنشوء الاخلاق والدين من عقدة أوديب من الطبيعي ان تكون تفسيراته ومعالجته هذه أقل نظرياته تعليلاً وبرهاناً واضعفها اثباتاً. يفترض فرويد أن ابناء الذكر الهرم العجوز الذي طرده من القبيلة البدائية وسيطر على جميع اناثها قد تمردوا على ابيهم وأكلوه ولكن تأنيب الضمير أخذ يعذبهم فيما بعد ومن أجل وضع حد للتنافس فيما بينهم فرضوا حضراً (تابو) على سفاح القربى (وهكذا نشأت الاخلاق) وقد ماثلوا بين ابيهم وحيوان (الطوطم) وعدوا هذا الحيوان بمثابة آلهة. ولم يأكلوا لحمه الا في المآدب التأبينية الجنائزية (وهكذا نشأ الدين) .. وبالطبع لم يظهر اي اثبات أو دليل على صحة ما افترضته هذه الحكاية الطريفة..

7- يونغ وتفسير الأسطورة: لم يسعَ يونغ الى اثبات فرضياته بقدر ما سعى الى الايحاء بالثقة والاقناع بهذه الفرضيات متوجهاً خلال ذلك الى اللاشعور للقارئ وليس الى شعوره ووعيه. ولهذا فإن المصطلحات العلمية تقترن عنده في مؤلفاته بصورة غريبة بعبارات وجمل الواعظ الديني ويمكننا تلخيص نظرية يونغ بصورة عامة على النحو التالي: يتمتع جميع الناس بقدرة ولادية على تشكيل بعض الرموز العامة بصورة لاشعورية وهذه الرموز يدعوها يونغ بالأنماط البدائية وهذه الأنماط البدائية الأولية تظهر في الأحلام[2]

المبحث الثالث أنواع الأسطورة والخرافة.

(1) المصدر نفسه، ص222.

(2) د. نزار عيون السود، نظريات الاسطورة, المصدر السابق ، ص223-224.

أولاً: أنواع الأسطورة وتصنيفاتها: يخضع تصنيف الأساطير وفرز أنواعها الى الكثير من الاعتبارات المختلفة فكل مدرسة مثيولوجية تنظر الى تقسيم الأساطير وفق القواعد الخاصة بها ولكل مؤلف كتاب عن الأساطير يضع احياناً تصنيفاً خاصاً بها وعلينا أولاً تصنيف أساطير العالم الى مجاميع مشتركة آخذين بعين الاعتبار العوامل الجغرافية والتأريخية والاثنولوجية واللغوية لتكوين صورة شاملة عن الأساطير أفقياً (جغرافياً) وعمودياً (تاريخياً) لنتعرف على امكانات القرب والابتعاد والتشابه والاختلاف والنمو والتطور والأصل والفروع وغير ذلك ونرى أن أنسب صورة لهذا هو التصنيف التأريخي الجغرافي وهو كما يلي:

1- العصور الحجرية وتتضمن:

أ- الباليوليت (الحجري القديم)

ب- الميزوليت (الحجري الحديث)

ج- الكالكوليت (الحجري المعدني)[1].

2- أساطير جنوب وشرق المتوسط (الأساطير السامية وما رافقها) وتتضمن:

أ- الأساطير الرافدينية (السومرية–البابلية– الآشورية).

ب- الأساطير المصرية.

ج- الأساطير الكنعانية.

د- الأساطير العربية (قبل الاسلام).

3- أساطير شمال المتوسط (أساطير الآيجة وما رافقها) وتتضمن:

أ- الأساطير الكريتية.

ب- الأساطير الحثية–الحورية.

ج- الأساطير اليونانية.

د- الأساطير الرومانية.

4- أساطير الشرق الأقصى وتتضمن:

---

(1) خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، المصدر السابق، ص62-63.

أ- الأساطير الفارسية.

ب- الأساطير الهندية.

ج- الأساطير الصينية.

د- الأساطير اليابانية.

5- أساطير امريكا القديمة وتتضمن:

أ- أساطير المايا (يوغنان وغواتميلا).

ب- أساطير الأنكا (بيرو).

ج- أساطير الأزتيك (المكسيك).

6- الأساطير الأوربية وتتضمن:

أ- الأساطير السلتية.

ب- الأساطير التيوتونية.

ج- الأساطير الفينو-اورغية.

د- الأساطير الأوقيانوسية.

هـ- الأساطير الإسكندنافية[1].

7- الأساطير البدائية المعاصرة وهي أساطير الأقوام والقبائل البدائية والتي ما زالت تعيش على سطح الأرض وتتضمن:

أ- أساطير الأقوام البدائية في استراليا ونيوزلندا.

ب- أساطير الهنود الحمر والأقوام البدائية في أمريكا.

ج- أساطير الأقوام البدائية الأسيوية.

د- أساطير الأقوام البدائية في افريقيا السوداء.

8- أساطير الديانات السماوية (الشمولية).

أ- الأساطير اليهودية.

ب- الأساطير المسيحية.

---

(1) خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، المصدر السابق، ص63-64.

ج- الأساطير الإسلامية.

ويمكننا بعد ذلك ان نضع تقسيماً نوعياً لجميع الأساطير وان نضعها في مجاميع متشابهة نوعياً كما يلي:

1- أساطير الخليقة (التكوين) Gensis وتشمل:

أ- الأساطير النشكونية cosmogony اي أساطير نشوء الكون وتفاصيله.

ب- أساطير نشوء الآلهة Theogony اي أساطير ظهور الآلهة وأنسابها.

ج- أساطير نشوء الأنسان An thropoyony اي أساطير خلق الإنسان.

2- أساطير الطبيعة: وهي الأساطير التي تتناول التفسير الرمزي لمظاهر الطبيعة المادية والحية ويمكن تقسيمها الى:

أ- اساطير الكواكب (الشمس، القمر، الكواكب، النجوم بأعتبارها آلهة).

ب- أساطير الطبيعة ومظاهرها (الجبال، الانهار، الرياح، المطر، الطوفان)

ج- أساطير الحيوان (الأساطير التي محورها الحيوانات).

د- أساطير النباتات (الأساطير التي محورها النباتات).

3- أساطير الفردوس: وهي الأساطير التي تخص العصر الذهبي القديم الذي عاشه الأنسان ولكل شعب أساطيره الخاصة عن جنته وفردوسه المفقود[1].

4- أساطير الجحيم: وهي أساطير العالم الأسفل وآلهته وكائناته الشيطانية ونزول الآلهة اليه وخروجهم منه وباتجاهه نزولاً وصعوداً من كائناته أو كائنات العالم الأعلى.

5- اساطير نصف الآلهة او أشباه الآلهة من الأبطال الذي ارتفعوا الى مقام الآلهة ويمكن لهذه الأساطير ان تكون في منطقة تتوسط بين الأسطورة والملحمة مثل أسطورة أو ملحمة كلكامش. كذلك يمكن اعتماد تصنيف اخر للأساطير يأخذ بنظر الاعتبار أساطير كل إله على حدى او ما دار حوله من حكايات بدءاً من اعلى الآلهة الى الأبطال ويحكم هذا التصنيف الإلهي جدول أنساب دقيق للآلهة وتفرعات نسلها[2].

---

(1) خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، المصدر السابق، ص64.

(2) خزعل الماجدي, بخور الالهة دراسة في الطب و السحر و الاسطورة و الدين ,المصدر السابق ، ص65.

ثانياً: أنواع الخرافات: في الدراسة القيمة التي قام بها كل من الدكتور نجيب اسكندر إبراهيم والدكتور رشدي فام منصور عن التفكير الخرافي في مصر قسم الباحثان الخرافات حسب وظائفها الى انواع أربعة هي:

1- التفسير.
2- جلب النفع.
3- تجنب الخطر.
4- جلب النفع وتجنب الخطر معاً[1].

وذلك لان معرفة الدور الذي تؤديه الخرافة في حياة الناس تساعد في احلال التفكير العلمي محلها لتحقيق حاجات الناس عن طريق الأسلوب العلمي وبالطبع تختلف الخرافات حتى ذات الوظيفة الواحدة.. من حيث مضمونها أو فحواها، فقد يكون النفع في طلب الزواج أو الشفاء من المرض، ودراسة محتوى الخرافات يكشف عن كثير من المشكلات التي تكمن في قلب ثقافة معينة اي معرفة التي تجتمع أو تكثر حولها الخرافات ومن ثم معرفة المجالات التي يلزم فيها تثقيف المجتمع وتنويره علمياً.

وفي دراسة الدكتور نجيب إسكندر والدكتور رشدي فام اشتملت الخرافات الموضوعات الحيوية الآتية:

1- الزواج 2- الحمل والولادة والانجاب 3- المحافظة على حياة الاطفال ومشاكلهم
4- مكانة المرأة 5- الصحة والمرض 6- المحرمات والفرائض (الضبط الاجتماعي)
7- الفأل والتنبؤ بالأحداث المستقبلية 8- السحر والحسد والاضحية والتعاويذ والنذور والارواح والاسياد وغيرها[2].

وتتخذ الخرافة اشكالاً عدة تشمل الفأل والايمان بالحظ والصدفة والضيوف والاصدقاء وتتخذ ايضاً على شكل محرمات فإن النطق ببعض الكلمات يؤدي الى وقوع كارثة كالنطق باسم العفاريت والمحرمات في المجتمعات البدائية[3].

---

(1) د. عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، المصدر السابق، ص69.
(2) د. عبدالرحمن عيسوي , سيكولوجية الخرافة و التفكير العلمي , المصدر السابق، ص69.
(3) المصدر نفسه , ص71.

ثانيا: دور الأسطورة والخرافة في الشعوذة واكتساب الأسطورة والخرافة كمرض.

1- دور الأسطورة والخرافة في الشعوذة: إن التمسك بالخرافة والأسطورة وتكديسها كثقافة في عقول العامة انما هو ابعاد للعقل في الوقت الذي يسرع فيه العالم نحو الأخذ بالحقائق العلمية. وما زال البعض يسعى وراء معرفة المجهول وما تحمله الأيام والسنون في المستقبل ومن خلال تصديق المنجمين والحرص على مطالعة ومتابعة الأبراج التي تكتظ بها رفوف المكتبات وأرصفة الشوارع.

الأمر لا يقف عند حد الترفيه والتسلية ولكنه يتعدى ذلك الى تسليم البعض بمضمونها والاعتقاد بصحة تنبوئها. وهذا السلوك لا يقتصر على فئة عمرية أو طبقة اجتماعية بعينها بل اصبح من المعتقدات الراسخة عند الكثيرين ويزداد انتشاراً رغم تعارضه مع ما أمر به الحق سبحانه تعالى فما هي أسباب هذه الخرافات والأوهام التي تؤدي الى تخلف المجتمعات وسقوطها في براثن الجهل والخرافة؟ وكيف نحمي المجتمع من مخاطر هذه الظواهر التي تتنامى مع ابسط قواعد الايمان بالله واختصاصه وحده بعلم الغيب؟ وهناك ارتباط وثيق بين الحالة النفسية للفرد وسلوكياته المختلفة.

فضلاً عن ان كل البشر لديهم نزعة حب الاستطلاع والفضول لمعرفة المستقبل وتزداد عند بعض الشخصيات التي تتسم ببعض الخصائص النفسية التي تدفعها للجري وراء المجهول ومنها معاناتهم مع مرض الفصام الشخصي البارانويا وفيه يشعر المريض بأن الأخرين لا يريدون به الا الشر وهذا المرض لا يقتصر على فئة دون الأخرى بل يصاب به من يعتلي أرقى الدرجات العلمية كما ان الإسقاطات مرض نفسي متفشي بين بعض الفئات لتجنب مواجهة الواقع وابعاد مسؤولية الفشل وإرجاعها الى سوء الحظ والحسد وليس أعمال الفرد وسلوكه[1].

ان اعمال التنجيم والشعوذة تشكل جريمة إذا كان من شأنها ان يوهم المشعوذ ضحيته كذباً بأنه يعلم ما تخفيه له الأيام. ويقدم له معونة سحرية (حجاباً مثلاً) ليحقق له ما يتطلع اليه من أمال. وذلك بهدف ايقاعه في الخطأ وان يحصل المشعوذ على مقابل

(1) د. هاني الكايد، ميثولوجيا الخرافة والاسطورة في علم الاجتماع، المصدر السابق، ص195-196.

مادي نظر الأعمال يسلمها له الضحية بإرادته وبرضائه التام. ويشكل هذا العمل جريمة نصب لها المشرع عقوبة الحبس لحد أدنى اربع وعشرون ساعة. اما من يلجأ الى هؤلاء المنجمين والمشعوذين فهو في نظر القانون مجني عليه لواقعة احتيال وان العقوبة التي حددها المشرع لجرائم بصفة عامة هزيلة ومن الافضل زيادتها برفع الحدين الادنى والاقصى لتكون رادع لمن تسول له نفسه النصب على الابرياء.

والعلم يرفضها وحول التأصيل العلمي والاجتماعي للأبراج يؤكد ان هذه الأبراج التي تنتشر في الصحف والمجلات والنتائج التي تتوصل اليها ليس لها اي أساس علمي انما هي للأوهام كما أن الفرد يعيش أسيراً لتلك الأوهام والأحلام ولرغباته الشخصية المهتمين بقراءة الابراج او التسليم بما تقوله هم واهمون لان هذه النتائج مجرد إيحاءات وتأثيرات لو تحققت بالفعل فسوف تكون من قبيل المصادفة وان تصديق الابراج وقراءة الطالع أو الكف من القضايا القديمة الجديدة حيث ترجع هذه الاعتقادات الى عصر الفراعنة. ففي عصر الجاهلية قبل الاسلام كانت الطالع مهمة جداً وكان المنجمون يعتمدون على قراءة الابراج وكان يصدق كلامهم في الحرب والسلم وان التحليل النفسي يؤكد ان الانسان بطبيعته لديه حب المعرفة بما سيأتي وقراءة المستقبل مما يجعلهم يلجئون الى المنجمين ومع ان الذي نعيش فيه يعد من عصور العلم والنهضة والتقدم العلمي الواضح في مختلف المعارف الا انه ما زالت هذه العينات مسيطرة على عقول الكثير من الناس مما يثري المخزون الثقافي على مر العصور[1].

ثانياً: اكتساب الأسطورة والخرافة كمرض:

لم يكن حصول المرض والشفاء منه أمراً يسيراً وهيناً على العرافين القدماء فقد كان محملاً بالمعاني الدينية ومشحوناً بتوترات ميتافيزيقية عميقة للغاية يمكن ان نفهم منها التصور الديني للحياة كلها واذا كان الخلود والبحث عن الخلود في العراق القديم قد حظي باهتمام جيد من قبل الباحثين فإن الدارسين في المرض والشفاء لم يحظوا بنفس الاهتمام رغم انه يشغل مساحة واسعة من التراث الديني.

ويتم ذلك عن طريق:

(1) د. هاني الكايد، ميثولوجيا الخرافة والاسطورة في علم الاجتماع، المصدر السابق، ص197-198.

1- انتهاك النواميس الإلهية: ويتم عن طرق عدة (الخطيئة-التابو-السحر الأسود).

أ- الخطيئة: هي اختراق أو انتهاك للقانون الإلهي المقدس وما يهمنا من الخطيئة هو ارادة الخاطئ وقصده بسبب الخطيئة، لكن الأكديين والبابليين كانوا يرون ان ما يهم الخطيئة ليست ارادة فعل الشر ومن هذا اعتبرت الخطيئة نوعاً من انواع الفساد وأنها تعيش في العمل الشرير الذي يسببها لهذا لم يكن سهلاً فصلها عن اسباب الشر[1].

ب- التابو: مارس السومريون والبابليون فكرة المحرم او الممنوع ويمتاز التابو بصرامته وسلبيته وبأنه لا يتضمن تعليمات واوامر بل منعاً صارماً وعقاباً مباشراً اي أنه يتكون من ثلاثة عناصر هي: معرفة الطابع المقدس او البخس للشخص او لشيء والمنع الذي يترتب على ذلك ثم العقاب الذي يكون صارماً ومباشراً ويرى فرويد[2]، ان هناك عدداً من السمات التي تعين التابو واولها انه مزدوج الطبيعة فهو مقدس ومكرس وجليل ولكنه يبعث على القلق والخطر والممنوع والدنس وثانيها ان بواعثه غير معروفة وغير مبررة واصلها مجهول وخصوصاً بالنسبة لنا اما بالنسبة لممارسيها فهي طبيعية وهو يخضع لسلطانها دون ان يسأل لماذا؟ وثالثها ان المحرم او التابو ينتقل بالعدوى[3].

ج- السحر الاسود: هو النوع الثالث من الانتهاكات التي يقوم بها الانسان ضد القوانين الإلهية وتتضمن جوانب الانتهاكات هذه أموراً عدة هي:

- استخدام الساحر قوة إلهية لإلحاق ضرر متعمد بإنسان او جماعة.
- الاستعانة بالشيطان مباشرة دون الاستئذان بالآلهة ولذلك كان الساحر الضار يقرن بالشيطان او يبدو متفقاً او متعاقداً معه وفي ذلك خرق آخر للنواميس الإلهية.

(1) د. خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، المصدر السابق، ص343.

(2) سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، ترجمة جورج طراميشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص393.

(3) د. خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، المصدر السابق، ص346.

- قد ينجح الساحر الضار بإيقاع الاذى بالإنسان وذلك بفعل قواه الخارقة او الضعف في ذلك الإنسان الذي مورس ضده السحر الضار وعند ذاك يكون هناك اختراقان، الاول للآلهة والثاني للإنسان وهذا ما دفع الإنسان العراقي القديم الى تحريم السحر الاسود ومنعه ومعاقبة القانون لممارسيه ومصادرة ادواته السحرية.

2- الشر: تشير كلمة شرتو بالأكدية الى معنى الشر وتدل على الخطيئة وعقوبتها.

ان اشكال انتهاك المقدس جميعاً (الخطيئة، التابو، السحر الاسود) تتبع الشر الذي يستفز الناموس الإلهي والذي يواجه بشر مقابل من الآلهة ضد البشر، واذا كان الإنسان يخل بالنظام الإلهي من خلال الخطيئة التي تنتج شراً، فأن ردة فعل الآلهة سيكون مماثلاً إذ تقوم الآلهة بالإخلال بالنظام الإنساني من خلال شر وفي هذا موازنة وتطبيق لسنة بابلية معروفة (العين بالعين) إذا يتلقى الخاطئ شراً معاكساً تأمر به الآلهة وتنفذه الشياطين التي تحت إمرتها ولاشك ان هناك تنافساً بين حجم الشر ونوعه وبين حجم الأذى المقابل للخاطئ ونوعه. لذلك اختلفت انواع العقوبات وانواع الامراض بشكل خاص لكن الإنسان الخاطئ يمكن ان يتجنب الشر المقابل بطريقتين هما الصلوات والكفارة وهي امور تدفع الاذى عن الشخص وتمسك الشر عنه خصوصاً اذا كانت خطيئته غير مقصودة[1].

3- الهجوم بيد الآلهة او بأحد الشياطين:

ان القرار بأحداث الشر المقابل الذي تتخذه الآلهة يمكن ان ينفذ بطريقتين هما:-

1- الطريق المباشر: حيث يقوم الإله المعني بإطلاق (يده) باتجاه ذلك الانسان المخطئ، الذي اصبح شريراً وضربه او ايغال هذه اليد في احشائه او اعضائه ولذلك تحفل النصوص التي تتحدث عن الأمراض بعبارة يد الإله.

2- الطريق غير المباشر: حيث يقوم الإله المعني بالإيعاز الى احد الشياطين المجرمين رغم ان هناك ملامح اشرنا اليها في دراستنا هذه. يقوم الشيطان اذن بتنفيذ قرار الإله

(1) د. خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، المصدر السابق، ص349-350.

فيدخل الى جسم الانسان ويسيطر على احد اعضائه من الخارج ويحدث له المرض او يضربه ويمضي.

4- دور الإله الحامي والملاك الشخصي: في مبحثه الفريد والهام عن سايكولوجية وادي الرافدين يتحدث اوبنهايم عن الارواح الحامية فهو يشير الى أنَّ عدد هذه الارواح الحامية اربع وانها مميزة الشخصية وتحمل بشكل اسطوري حالات نفسية معينة كإدراك الشخصية وهي تنسب الذات الى العالم الخارجي وتفضل الواحدة عن الاخرى في الوقت نفسه.

إنَّ هذه الارواح تتميز بأنها ذات طالع حسن وهي مهمة كأهمية الظل بالنسبة الى مدى معانيها وجميعها ذات علاقة بعالم العفاريت والأموات ومهمة لمواجهة كسب وخير لإبعاد خطر ولحصول نجاح تام ويذكرنا اصطلاح (الروح الحامية) بالمصطلحين المعروفين الاول مصري وهو (كا) والثاني عبري وهو (ملاك) وكلاهما يعبران عن شخص إلهي يتمثل في صورة معينة خارج الشخص المعني.

5- العقاب: يكون العقاب الإلهي اما جماعياً او فردياً، فالجماعة قد تصاب كلها بغضب إلهي شامل يستوجب عقابها او موتها ويتم تسليط احد انواع العقاب عليها مثل الامراض والحروب والكوارث والمجاعة ..الخ، والعقاب الجماعي تقف خلفه خطيئة جماعية كالشرك او انتهاك المقدسات الإلهية وقد حفل ادب المراثي السومري والبابلي بالكثير من شواهد تدمير المدن مثل اور والمحد وغيرهما.

اما العقاب الفردي: فيقع على الشخص المذنب ويستوجب القصد الخبيث للمذنب تشديداً بالعقاب وقد عرفنا كيف ينزل الشر على شكل يد الآلهة او الشيطان خارقاً الآلهة الحامية له(1).

ثالثا: دور الأساطير والخرافات في الشفاء من الأمراض

أولاً: دور الأساطير في الشفاء من الامراض:

في طقس الشفاء عند ال" بيل " جانب يسترعي الاهتمام على وجه الخصوص. يقوم الساحر بتطهير المكان الذي يلي سرير المريض ويرسم " مندولاً " دائرة سحرية

(1) د. خزعل الماجدي، بخور الالهة دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، المصدر السابق، ص351-352.

بطحين الذرة وفي قلب المندول يرسم بيت " سفور " وبها غوان وتظل الصورة المرسومة على هذا النحو حتى يبرأ المريض من علته تماماً. إنَّ مصطلح المندول يكشف عن اصل هندي: والكلمة مستمدة من المندلة وهي رسم مركب يلعب دوراً هاماً في الطقوس الطناطرية الهندو–تيبتية. لكن المندلة قبل كل شيء صورة للعالم تمثل في نفس الوقت الكون مصغراً كما تمثل مجمع الآلهة (البانتيون) يساوي تشيدها تجديداً سحرياً لخلق العالم. تبعاً لذلك، ان الساحر البهيلي اذ رسم المندول عند قائمة سرير المريض، فإنما يكرر خلق العالم، حتى ولو كانت الاناشيد الطقسية المرتلة لا تشير الى صراحة الأسطورة الكوسموغونية ان العملية غرضاً شفائياً فالمريض اذا أصبح رمزاً معاصراً لخلق العالم فإنما ينغمس في الامتلاء البدئي، يترك لكي تشبع فيه القوى الهائلة التي جعلت من الخلق أمراً ممكناً في ذلك الزمان.

ليس من الامور غير الهامة ان نذكر، بهذه المناسبة بأن الأسطورة الكوسموغونية التي تعقبها عند الناوا هو أسطورة انغماس الأوميين الاوائل في حضن الارض تتلى خصوصاً بمناسبة الشفاء، او في اثناء استلام شامان تتركز جميع الاحتفالات على المريض هترالي (الذي يتلى عليه) قد يكون مريضاً او مجرد مريض عقلي، كأن يكون قد روعه حلم او لا يحتاج الى احتفال واحد بغرض تعليمه له في اثناء المساواة التي يخول بموجبها سلطة الاحتفال بهذا النشيد، ذلك ان العراف لا يستطيع اداء احتفال شفائي ما دام هو نفسه لم يخضع للاحتفال، كذلك يتألف الاحتفال من تنفيذ رسوم مركبة على الرمال ترمز الى مختلف مراحل الخلق والتأريخ للأسلاف البشرية جمعاء(1).

ويستوجب الشفاء على المريض المرور بعدة مراحل تأتي اما متداخلة او متتابعة وسنجمعها بالخطوات التالية:

- التشخيص: هو المعنى الديني اول مراحل الشفاء حيث يقوم كاهن الأشيبو بهذه المهمة فيعمل على تشخيص المرض اي تحديده وتحديد العضو المصاب ويعمل على تشخيص المسبب سواء أكان شيطاناً او يد إله.

---

(1) مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الاولى، 1991، ص27–28.

واذا كان بعض النصوص الاكدية يذكر كيف ان الأشيبو يقوم بقراءة العلامات التي في طريقه وهو ذاهب الى بيت المريض فإننا نرى بصورة عامة.

ان هذا الواجب من اختصاص كاهن البارو حصراً، لأن قراءة العلامات العرافية التي يحفل بها محيط المريض او جسده او العلامات التي يصفها لغاية تشخيصه كالزيت والماء أو غيرها، كلها امور من اختصاص كاهن البارو، فالتشخيص الديني يكون على نوعين:

1- سحري/عرفي هو قراءة العلامات والتنبؤ بالمرض ومسبباته ومسيرته ونتائجه.

2- ديني/روحي وهو تحديد نوع المرض والجهة المسببة له. ان مهمة التشخيص والحالة هذه مهمة مزدوجة يقوم بها العراف والأشيبو.

التوقع والانذار: ويكتمل التشخيص بالتوقع والانذار حيث يتوقع الأشيبو مدة المرض واحتمالاته، ثم ينذر الى المريض اما بإقامة ما يرضي الإله عن طريق نذر او كفارة او إقامة صلوات او تطهير او انه يعلن عدم الفائدة من كل هذا وان طريق المريض هو الموت، الانذار اذن يشمل التوقع بالشفاء او الموت وهذا ما نجده في اغلب النصوص الطبية[1].

- التعزيم: هو الخطوة الفعلية نحو التداوي الذي يتم عن طريق طرد الارواح الشريرة التي سيطرت على المريض او دخلت في جسده ويمكننا ان نقول ان الشياطين التي اتت من العالم الاسفل لتهاجم المريض جلبت معها في ذلك العالم مواداً أو اشياء مؤذية وادخلتها في جسده. " والصداع قد تصاعد من سطح العالم السفلي " اي ان الصداع كان موجوداً في مياه الابسو (الاعماق). ولذلك تكون وظيفة الأشيبو طرد الشياطين من اماكنها واستقرت في داخل جسد المريض وارجاع مواد العالم الأسفل الموجودة في جسد المريض الى العالم الأسفل ان كل الطقوس التي يقوم بها كاهن الأشيبو هي من اجل هذين الغرضين طرد الشياطين وارجاع ما جلبته الى اماكنه وتتم هذه العمليات بالتغيير وقراءة

(1) د. خزعل الماجدي، بخور الالهة دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، المصدر السابق، ص355-365.

التعويذة. فالكلمة سبيل مهمة لطرد الشياطين التي ربما تعود الى اماكنها حاملة معها ما جلبته.

التداوي: يقوم الطبيب (الأسو) بالعلاج الطبي المعروف من اجل عملية الشفاء بعد مغادرة الاسباب (الشياطين والمواد التي جلبتها) وتبدو لنا هذه العلية مثل عملية ترميم عضوية لا تلف من الانسجة والاعضاء عن طريق مواد عضوية معوضة كالأعشاب والمعادن والمستحضرات الحيوانية ان العناصر التي يتكون منها الدواء تبدو كأنها ستعوض العناصر التي فقدها المريض نتيجة المرض. لكن كاهن الأشيبو قد يقوم بإعطاء ادوية ذات طابع سحري ليس الغرض منها ابداً القيام بما تقوم به الادوية الطبية. كأن يركب من المخاط والمواد العفنة بل حتى من البراز أدوية ويعطي للمريض أنَّ هذه المواد تعمل على هزيمة الشياطين وربما على تذكيرها بالمكان الذي اتت منه فتفر الى اماكنها التي هي عادة اماكن قذرة(1).

رابعاً: دور الخرافات في الشفاء من الأمراض: للقضاء على الخرافة يستوجب القضاء على جذورها وجذور الخرافة تنطلق عبر وسائل اعلامية تدعمها دول ومؤسسات ورجال اعمال يمتلكون مقاومة السلطة ولكنهم يفتقرون للوازع الاخلاقي الذي يمنعهم من تسريب الاباطيل عبر قنوات تدار تحت رعايتهم ودعمهم المادي والمعنوي قنوات متخصصة في ترويج الاباطيل والشعوذة، قنوات تبث افلاماً تروج للسحر والشعوذة والقيم المنحرفة بدلاً من توعية الناس وتبصيرهم ومن المفيد ان نعترف بواقعنا هذا الواقع الذي افرز فكراً خرافياً لا يهتم بالأسباب، فضلاً عن الهزائم النفسية وما خلفته من مشاعر العجز والاحباط من المستقبل ولقد دعا القرآن الكريم للإيمان بالغيب وتحدث عن الغيبيات والملائكة والجن والشياطين وعرش الرحمن ويوم القيامة وعلامات الساعة ومن تلك الاسس الاعتقادية للمسلمين.

ومنهج القرآن الكريم في حديثه عن الغيبيات يقوم على اساسين هما:

(1) د. خزعل الماجدي , بخور الالهة دراسة في الطب و السحر و الاسطورة و الدين، المصدر السابق , ص356-357.

الاول: حصر الايمان بالغيبيات في مجالات محددة والثاني: حصر الايمان بها على ما جاء في القرآن الكريم فقط. وما عدا ذلك فهو خرافة. فقلد القرآن الكريم مجالات الغيوب والملائكة والجن والشياطين وغيب المستقبل والقيامة واليوم الاخر وكل شيء خارج نطاق الحس البشري او خارج نطاق عالم الشهادة غيب. وهي تقع في ما نسميه بالغيب المطلق، ثم حصر الإيمان بهذه الغيوب على ما جاء في القرآن الكريم وحده وهنا لابد من بيان اهم الاسلحة التي من شأنها الحد والقضاء على الخرافة والحيلولة دون انتشارها والمطالبة بتكثيف البرامج الاسلامية خصوصاً التي تعني بنشر العقيدة الصحيحة وابطال ما يضدها من شرك وحسد وسحر وكهانة وبدع وخرافات ومخاطبة ائمة المساجد والجوامع لبيان ضلال مثل هذه البرامج الفضائية التي تناقض التوحيد وتكثيف الخطب في مجال العقيدة والتحذير من السحر والكهنة[1].

المبحث الرابع : بعض الامثلة التطبيقية للدراسة :

يمثل الجانب الميداني من الدراسة عرض وتحليل لبعض الاساطير والخرافات التي يؤمن بها الافراد في مجتمع الدراسة، والتي منها:-

1 – العين الزرقاء (سبع عيون) : – يؤمن العديد من الناس ان الخرزة الزرقاء تساعد على حفظ الإنسان من الحسد أو ما يسمى بالمفهوم الشعبي (صيبة عين) وتنتشر هذه الرؤية بين سائر فئات المجتمع خصوصاً بين النساء اللواتي يؤمنّ أكثر من غيرهنّ بفوائد الخرزة الزرقاء فضلاً عن الجانب الجمالي الذي تضفيه على من يرتديها وأن أغلب الناس يضعوها في بيوتهم وهي في نظرهم تساعدهم في منع الحسد وابعاد العين عنهم، وهي تشير إلى أن الحسد يؤثر على حياة الإنسان بشكل كبير ما يجعلها تلجأ إلى اخذ احتياطاتها اللازمة من أجل ردع عيون الناس .

وبعد الاطلاع على العديد من آراء الأشخاص تبين انَّ عدداً كبيراً من الناس يؤمنون بها وانها تمثل موروثات تبقى في المجتمع بسبب الاعتقاد الشائع بأنها عادات مجربة ممثلة للأفراد ما يشبه شاطئ النجاة وسميت بهذا الاسم باعتقاد البابليين ان النفس

---

(1) د. هاني الكايد، ميثولوجيا الخرافة والاسطورة في علم الاجتماع، المصدر السابق، ص288-289.

الشريرة أو الإشعاع المنبعث من العين الحاسدة حين يتشتت أو ينقسم إلى سبعة أقسام يفقد قابليته على الايذاء في الشخص المحسود .

2 – زقزقة العصافير : – هي الأصوات الصادرة عن جمعاً من العصافير، حين يثيرها شيء معين، ان تجمع العصافير على أسطح البيوتات واشجار الحديقة يبعث على ان شيئاً ما قد أثارها فتصدر عندئذ اصواتاً لها دلالتها فيما بينها، أما الناس في المجتمعات القروية والشعبية، فأنهم يفسرون هذه الأصوات بانها إشارة إلى الخير الذي يلزم بقدوم الضيوف على أهل الدار، والناس ولاسيما كبار السن ما يزالون يعتقدون بأن زقزقة العصافير جالبة للخير وانها تشير إلى ان ضيفاً سيزورهم .

نستشف من ذلك ان زقزقة العصافير فيها علامات قابلة للتفسير، فقد وجد الناس في المسرة المنبعثة من هذه الأصوات راحة نفسية أدت بهم إلى ان يبنوا عليها ما يحيل على البشارة، فهذه الأصوات تفسر عند أغلب الناس على انها تدل على (جية الخطار والإحساس بالفرح)[1] أو إنها بشارة على ان شخصاً ما (غايب على عينك من زمان وتشوفه) على ما أكدت ذلك امرأة كبيرة السن .

3 – حكة اليد : وتحصل حكة في راحة اليدين، وهي في نظر الناس اشارة إلى انك ستحصل على المال (تجيك فلوس) أو أنها اشارة على انك تصافح شخصاً ما، وعلى ما هو ثابت في الوعي الجمعي أن الحكة في اليد اليسرى يدل على أنك ستدفع أو تخسر المزيد من المال، أما في اليد اليمنى فإنها تشير إلى أنك ستحصل على المزيد من المال.

وكانت القبائل الاغريقية قديماً أول من أكتشف هذه العادة وأورثوها لأجيالهم عن طريق ملكهم الكبير الذي كان محبوباً من شعبه كثيراً فإن أصابه مكروه هرع الشعب إليه مسرعاً ليرى ماله فتعرض ذات يوم لـ (حكة اليد الشديدة) وما ان عجز الأطباء عن تفسير حالته حتى تمكن الفلاسفة وعلماء النفس من انه سيكسب رزقاً وخيراً خلال الايام

(1) مقابلة ميدانية أجراها الباحث في الحي العصري في مدينة تكريت، والتقى عندها بمجموعة من كبار السن.

المقبلة وبالفعل بعد ان انتصر في معركته الأخيرة قام بجني الكثير منها بعد تمكنه من حل جميع الأسرى لديه واعادتهم إلى بلادهم[1] .

5 – رش الماء : – وهو من أعمال الخير المستحبة وهو سكب مقدار بسيط من الماء على الأرض خلف المسافر معتقدين انه يزيدهم اطمئناناً وأملاً بعودة المسافر وهي إحدى العادات التي يؤمن بها الناس، حيث يقوم الناس برش الماء على الطريق الذي يذهب فيه المسافر .

وتفسير هذه العادة هي ان المياه تدل على السهولة والتوفيق والحظ الجيد وان رش الماء يعني اذهب وارجع مثل الماء كدعوة له بالتوفيق في سفره والابتعاد عن المصاعب والمشكلات .

6 – طي السجادة المفروشة : – جرت العادة على طي السجادة بعد الانتهاء من الصلاة وقيل إن الجن يأتون فيصلون عليها مالم تطوَ وأن الجن يدخلون البيت ولم تتضح هذه الفكرة اطلاقاً، لأنهم ان كانوا فعلاً يصلون عليها، فذلك خير عظيم. ان هذا القول خرافة من الخرافات العامة التي لا أصل لها في دين الله وإنما هي محض اختلاف، وتأليف من تأليف العامة ومخترعاتهم ثم إذا افترضنا جدلاً ان الجن يدخلون البيت فيصلون على السجادة التي لم تطوَ لكان تركها مبسوطة أولى من طيها؛ لأن هذا الجن مسلم صالح وصلاته في البيت على هذه السجادة أو غيرها خير وبركة له ولأهل بيته أيضاً، ولعل تفسير هذا الأمر يقوله بعض الآباء لأولادهم الصغار حثاً لهم على طي السجادة بعد الصلاة حفاظاً على نظافتها وترتيب البيت .

6 – الحذاء المقلوب : – يوجد بعض من الناس يقولون بان وجود الحذاء مقلوباً رأساً على عقب بان الملائكة لا تدخل البيت أو أن الله لا ينظر إلى هذا البيت والبعض الآخر يقول ان قلب الحذاء على ظهرها حيث انها تقابل وجه الله .

وتفسير هذه الخرافة أنه لا بأس بتغيير هيئته لأن اسفله في الغالب يكون متسخاً فليس من الأدب أو الذوق ان يكون هو الأعلى وينظر الناس إليه وان قلب الحذاء بحيث يكون

(1) www.Mawdoo3.com تاريخ الزيارة 2018/3/21 م .

أسفله أعلاه فيه كراهية لأن اسفله مما يلي الأرض فيكون لابس الحذاء يطأ به على الأرض وقد يطأ به شيئاً من الأقذار .

7 – طنين الأذن : – من منا لم يشعر يوماً بطنين في أذنه، ومن منا لم يتساءل هل هذا يشير إلى أن أحداً ما يذكرنا ؟

يعتبر طنين الأذن وحتى حك الأذن إشارة إلى أن أحد الاشخاص يذكرك، ولكن هل حديث الشخص عنا في هذه الحالة يكون سلبياً أم ايجابياً ؟

في حال طنت أذنك اليمنى فإن أحدهم يتحدث عنك حديثاً ايجابياً اما في حال ان أذنك اليسرى هي التي تطن فأن الكلام يكون عنك سلبياً، كما اوضحت إحدى كبار السن من خلال مقابلتي قالت المثل الآتي (ان طنت اليمين صديق حنين) اي ان أحدهم يتحدث عنك بالخير (وان طنت اليسار عدو مكار) اي يذكر أحدهم بالشر، وقد اختلفت وجهات النظر حول تفسر هذه الخرافة وتقول الأسطورة ان طنين الأذن القوي للغاية والذي يظهر ويختفي فجأة يمكن ان يشير إلى وفاة أحد الأقارب، وتفسير طنين الأذن مجرد اعتقاد لدى الناس ولكن ليس لها صلة بذلك فطنين الأذن قد يكون بسبب مرض معين، ويعرف على انه رنين أو صفير في أحدى الأذنين فهو يكثر عند الأشخاص الذين اعمارهم 40 عاماً أو تزيد ويصيب الرجال أكثر من النساء .

8 – وضع اشياء تحت رأس المولود الجديد : – ان الطقس الشائع بين العديد من الجماعات الشعبية هو استخدام أدوات حادة مصنوعة من الحديد لحماية المولود الجديد، فثمة اعتقاد شائع ان السكين أو المقص أو غيرها من الأدوات الحادة تحرس الطفل فلا تقترب منه الشياطين، وأيضاً من العادات الشائعة بين العديد من فئات المجتمع وضع قطعة من الخبز تحت وسادة المولود لكي يصبح كريماً .

ومن خلال المقابلة مع العديد من النساء اتضح ان أكثرهم يؤمنون بهذه المعتقدات لحماية المولود فيقومون بوضع قطعة من الحديد لكي تحميه ولا تقترب منه الشياطين .

9 – رفيف العين : – ونقصد بالرفيف هو تحرك جفن العين العلوي عدة مرات، فيعتقدون ان تحرك جفن العين لابد من ان يأتي شخص عزيز وغائب عن صاحب العين وهذا الشخص غائب منذ عدة أيام فباعتقادهم ان العين تعلم لأنها أداة الرؤيا ولذلك نجد

النساء يقولون (رفت عيني لابد من ان يأتي عزيز علي) وتوضع غالباً قشة على الجفن لإبطال الرفيف، وقد اختلفت الآراء فمن خلال المقابلة التي أجريتها اتضح ان العين تعتمد على ما تعودت عليه من قبل الشخص نفسه فبعضهم يقولون ان العين اليمنى إذا رفت قد يأتي غائب وإذا رفت العين اليسرى دليل على البكاء والعكس صحيح.

10 – الخرافات التي تحدث في مراسيم الزواج : – الزواج هو أقدم الروابط البشرية الموجودة منذ أقدم العصور وله اهمية كبيرة في حياة الإنسان والمجتمع ومراسيم الزواج تتضمن العديد من التحضيرات والمراحل التي لديها قواعد وانماط معينة في جميع انحاء العالم والتي شكلتها الثقافات المختلفة وتنطوي على العادات والتقاليد في كل مجتمع ومستمدة من بعض الممارسات الدينية وحتى الخرافية وفيما يلي أهم الممارسات : –

1 – كسر الزجاج : – يقوم أهل العرس بكسر الزجاج لشد الانتباه لهذا الصوت ولكي يثير انتباه الناس له ولإبعاد النظر عن العروس ويقومون بهذه الممارسات عند دخول العروس إلى البيت لبعد عيون الناس لكي لا تصيب بالحسد .

2 – قرص العروس : – هناك مثل عربي يقول ((أقرصيها من ركبتها تلحقيها في جمعتها)) لذلك تقوم العديد من الفتيات بقرص العروس بنية جلب زوج لهن .

3 – رمي باقة الزهور : – يعتبر من أشهر التقاليد في الزفاف التي تمارس في العديد من الثقافات حتى يومنا هذا حيث تقوم العروس برمي باقة الزهور ومن تلتقطها تكون اول من تتزوج بعدها .

4 – دعس الرجل : – وقد تنتشر هذه العادة ما بين العريس والعروس على ايهما سيدعس رجل الثاني ؟ وهذه العادة لمعرفة من سيكون صاحب الكلمة المسموعة في البيت.

الاستنتاجات : انتهت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات والتي منها:

1 – اتضح ان الأسطورة قصة مقدسة تتضمن موضوع الخلق وبداية الوجود والخرافة هي معتقد أو ممارسات غير عقلانية قد تكون دينية أو ثقافية أو اجتماعية .

2 – تبين ان للأسطورة والخرافة آثاراً واضحة على المجتمع والثقافة إذ تؤثران على تكوين الفرد منذ نشأته مروراً بدخوله إلى المجتمع وهو يحمل ثقافة معينة فالأسطورة والخرافة هي نماذج عليا تتحكم بتكوين الفرد ومصيره .

3 – اتضح ان المنهجين (التأويلي والفهم الذاتي) منهجان ينسجمان مع دراسة الأسطورة والخرافة .

4 – اتضح من الدراسة ان جميع النظريات التي تعرضت إلى نشأة الأساطير والخرافات وتطورها قابلة لأن تكون صحيحة ألا أنها ليست نهائية، فهي صحيحة لأنها جاءت على شيء أو أشياء تحتمل الصحة في نشأة هذه الأساطير والخرافات وهي أيضاً ليست نهائية لأن كل منها اعتمدت على جانب معين في تفسير الاساطير والخرافات وأهملت الجوانب الأخرى.

5 – اتضح ان تصنيف الأساطير وفرز انوعها إلى الكثير من الاعتبارات المختلفة فكل مدرسة ميثولوجية تنظر إلى تقسيم الأساطير وفق القواعد الخاصة بها وكل مؤلف كتاب عن الأساطير يضع أحياناً تصنيفاً خاصاً به .

6 – اتضح ان اعمال التنجيم والشعوذة تشكل جريمة ان كان من شأنها ان يوهم المشعوذ ضحيته كذباً بأنه يعلم ماتخفيه له الأيام .

7 – ان الأساطير والخرافات ما تزال ذات فاعلية وتأثير على المجتمعات والثقافات المدنية على الرغم من أن أنماط المعيشة في هذه المجتمعات قد تطورت ولم تبقَ على ما كانت فلم تستطع التكنولوجيا والمدينة العصرية من إعاقة الايمان بالأسطورة والخرافة .

8 – اتضح أن الأسطورة قد تستند إلى أساس تاريخي وأن امتلأت أحياناً بتفاصيل الخرافة وهي تصور ما وعته الذاكرة أو ما نسجه الخيال، أما الخرافة هي وليدة الخيال الذي يسبق حب الاستطلاع والفروض العلمية، عند التفكير في الفروض العلمية عند التفكير في الظواهر الطبيعية وفي المعتقدات والشعائر الدينية.

9 – اتضح ان الأساطير والخرافات تعبر عن نظرة الشعوب القديمة إلى الحياة وقدمت لهم تفسيراً متكاملاً للحوادث الكونية يرضي مستوياتهم العقلية .

التوصيات : – توصلت الدراسة إلى العديد من التوصيات التي سندرجها بالنقاط الآتية :

1 – محاولة القضاء على جذور الخرافة وذلك من خلال وسائل إعلامية وتربوية هادفة تدعمها مؤسسات رسمية .

2 – توعية الناس وتبصيرهم بأن ترويج الأباطيل والشعوذة يعتبر مخالفاً للشريعة الإسلامية فضلاً عن انها تسببت بهزائم نفسية وما خلفته من مشاعر العجز والإحباط في نفوس البشر .

3 – المطالبة بنشر وتكثيف البرامج الإسلامية التي من شأنها تهتم بالقضاء على الخرافات ونشر العقيدة الصحيحة والتحذير من الشعوذة والسحر ومخاطرها على المجتمع.

References :

.1Arthur Cortell, Dictionary of World Myths, translated by Suha Al-Tarihi, first edition, Dar Nineveh for Studies, Publishing and Distribution, Damascus, 2010 AD, pg. 7.

.2Khazal Al-Majidi, Incense of the Gods, A Study in Medicine, Magic, Myth and Religion, first edition, Al-Ahlia Publishing House, Jordan, 1998, p. 23.

.3Duncan Michel, A Dictionary of Meeting, translated by Dr. Ihsan Muhammad Al-Hassan, first edition, Dar Al-Rasheed, Baghdad, 1980, p. 210.

.4Dr. Izz al-Din Ismail, Contemporary Popular Poetry, Its Issues, and its Intangible Artistic Phenomena, Dar Al-Awda, Beirut, 1966 AD, pg. 228.

.5Hani Al-Kayed, Mythology of Myth and Legend in Sociology, first edition, Dar Al-Raya for printing, publishing and distribution, Jordan - Amman, 2010 AD, p. 20.

.6Samuel Noah Karim, Sumerian Myths, translated by Youssef Dawood Abdel Qader, Al-Ma’arif Press, Baghdad, 1971 AD, p. 13.

.7Ahmed Ismail Al-Nuaimi, The Legend in Pre-Islamic Arabic Poetry, First Edition, Cairo, 1995 AD, pg. 51.

.8Hani Al-Kayed, Mythology of Myth and Legend in Sociology, previous source, p. 21.

.9Abd al-Rahman al-Isawi, The Psychology of Myth and Scientific Thinking, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing and Publishing, Beirut, 1984 AD, p. 16.

.10Fouad Khalil, Society, the Environmental System in the Subject of Sociology and Its Formals, Dar Al-Farabi, Beirut, first edition, 2008 AD, p. 12.

.11Muhyiddin Saber, Issues of Contemporary Arab Culture, No Publishing House, Tunis, 1983, p.9.

.12Qabari Muhammad Ismail, Cultural Sociology and its Personal Problems in the Social Structure, Al Nasher for Knowledge in Alexandria, 1982 AD, p. 20.

.13Jean Kaznoff, Foundations of Sociology, translated by Dr. Adel Al-Awa, first edition, Dar Talal for Studies, Translation and Publishing, Damascus, 1989 AD, p. 68.

.14Muhammad Hassan Ghamari, Anthropological Approaches, The Arab Center for Publishing and Distribution, Alexandria, (D.T), p.87.

.15Nizar Oyoun al-Soud, Theories of Myth, Alam al-Fikr magazine published by the National Council for Culture, Arts and Literature, State of Kuwait, Volume 24 - Issues 1 and 2, July/September, October/December, 1995, pp. 213-214.

.16Sigmund Freud, The Totem and the Forbidden, translated by George Taramishi, Dar Al-Talee'ah for Printing and Publishing, Beirut, 1983, p. 393.

.17Marcia Eliade, Manifestations of the Legend, translated by Nihad Khayatah, Dar Kanaan for Studies and Publishing, Damascus, first edition, 1991, pp. 27-28.
18.

Myths and Legends and Their Impact on Society
An Anthropological study in Tikreet City

Abdullah Saleh Ali*

Abstract

Communities are still pre-occupied with the dealing handling of myths with the emergence of difference and contrast and understanding of their origin and goals which have purposes and goals especially those myths which have been introduced in religious beliefs . Some believe that myths are the structure of awareness and intellect by which social and psychological thought emerged .

Key words : Marriage، myths، ceremonies

* **Prof. Asst. / College of Arts / University of Tikrit**